

رؤية تاريخية للحياة الثقافية والاجتماعية لقبائل الفلان في القرنين 18 و19

## "A Historical Perspective on the Cultural and Social Life of the Fulani Tribes in the 18th and 19th Centuries."

محمد ترمزي<sup>\*1</sup>

1 جامعة تامنغست- أمين العقال الحاج موسى أق أحموك (الجزائر)، مخبر الموروث العلمي والثقافي لمنطقة

تامنغست،

TERMZI.Mohammed@univ-tam.dz

<https://orcid.org/0009-0009-9215-4536>

تاريخ الاستلام: 02-07-2025 تاريخ القبول: 12-05-2026 تاريخ النشر: 2026-05-19

### ملخص:

يتناول هذا البحث المعنون بـ "رؤية تاريخية للحياة الثقافية والاجتماعية لقبائل الفلان في القرنين 18 و19" دراسة شاملة للحياة اليومية والاحتفالات والعادات الاجتماعية لقبائل الفلان خلال الحقبة الاستعمارية. يهدف البحث إلى تحليل كيفية تفاعل هذه القبائل مع العالم الخارجي وتأثيرات التبادل الثقافي الذي شهدته تلك الفترة. تم الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي باستخدام روايات الرحالة الأوروبيين كأداة رئيسية لجمع البيانات، حيث شكلت عينة البحث مجموعة مختارة من تقارير ومذكرات هؤلاء الرحالة. أظهرت النتائج أن قبائل الفلان كانت تتمتع بنظام حكم وهيكل اجتماعي متكامل، وأسهمت بشكل فعال في التجارة الإقليمية، كما عكست الروايات مدى التنوع الثقافي والديني لديهم. ويبنّ البحث كيف أسهمت هذه الوثائق في تكوين الفهم الغربي والصور النمطية عن الثقافات الإفريقية. الكلمات المفتاحية: الفولان، القبائل، اللغة، التاريخ، التفاعل الثقافي، العادات.

### Abstract :

This research, entitled "A Historical Perspective on the Cultural and Social Life of the Fulani in the 18th and 19th Centuries," presents a comprehensive study of the daily life, celebrations, and social customs of the Fulani tribes during the colonial period. The study aims to analyze how these tribes interacted with the outside world and the effects of the cultural exchange that took place at the time. The research adopts a descriptive-analytical approach, using the narratives of European travelers as the main tool for data collection, with a sample consisting of selected reports and memoirs of these travelers. The results revealed that the Fulani tribes had an organized governance system and an integrated social structure, and they played an active role in regional trade. The accounts also reflected the rich cultural and religious diversity among them. Furthermore, the study demonstrated how these documents contributed to shaping Western understanding and stereotypes of African cultures.

**Keywords:** Fulani, tribes, language, history, cultural interaction, customs

### مقدمة

المؤلف المرسل.

شهدت منطقة غرب أفريقيا خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر فترة مليئة بالتحويلات الكبرى، إذ عرفت توسعاً ملحوظاً في الحركات الدينية، وازدهاراً للتجارة الإقليمية، وصراعات سياسية أسهمت في إعادة رسم خريطة السلطة والنفوذ بين الممالك والمجتمعات المحلية. وفي هذا السياق التاريخي الحيوي، برزت قبائل الفلان — أو الفولاني — كواحدة من المجموعات العرقية الأكثر تأثيراً وانتشاراً في المنطقة، حيث امتدت مجتمعاتهم عبر مساحات شاسعة من السنغال غرباً إلى الكاميرون شرقاً، مروراً بنيجيريا ومالي وغينيا والنيجر.

تميّزت قبائل الفلان بنظام اجتماعي متماسك يعتمد على البنى الأسرية الممتدة، وبثقافة غنية متنوعة، ظهرت في العادات والتقاليد اليومية، وفي الأنشطة الاقتصادية مثل تربية المواشي والتجارة بعابرة المناطق. كما كان للفلان دور أساسي في نشر التعليم الديني والثقافة الإسلامية في غرب أفريقيا من خلال المدارس التقليدية (المحاضر) التي أسهمت في بناء شبكة تعليمية واسعة استمرت آثارها حتى اليوم. وقد تجلت الهوية الثقافية للفلان في طقوسهم ومناسباتهم الاجتماعية والفنية، وفي الأزياء المميزة والقصص الشعبية التي شكّلت جزءاً من التراث الشفهي الغني لديهم.

ورغم أهمية قبائل الفلان ومكانتهم في تاريخ المنطقة، إلا أن الدراسات التي تناولت حياتهم الثقافية والاجتماعية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر تبقى قليلة نسبياً ومتفرقة، الأمر الذي يثير الإشكالية المركزية لهذا البحث: كيف كانت ملامح الحياة الثقافية والاجتماعية لقبائل الفلان في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وما هي خصائص نظمهم الاجتماعية، وممارساتهم الثقافية والدينية التي ساهمت في تكوين هويتهم الجماعية؟

وينبثق عن هذه الإشكالية عدد من التساؤلات الفرعية:

1. ما هي السمات الأساسية للنظام الاجتماعي والسياسي لقبائل الفلان خلال هذه الفترة؟
2. كيف عبّرت الممارسات الثقافية والدينية للفلان عن رؤيتهم للعالم وارتباطهم بهويتهم الجماعية؟
3. ما هو الدور الذي لعبته القبائل الفلانية في الشبكات الاقتصادية والتعليمية المحلية والإقليمية، وكيف ساعدتهم ذلك في الحفاظ على استمرارية ثقافتهم وسط التغيرات المتسارعة؟

وانطلاقاً من ذلك، يفترض البحث أن قبائل الفلان في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر طورت نظاماً اجتماعياً وثقافياً مرناً مكنها من التأقلم مع الظروف السياسية والاقتصادية المتقلبة في غرب أفريقيا، وأن هذا النظام ساعدها في الحفاظ على تماسكها الثقافي والاجتماعي وانتشارها الواسع.

يهدف هذا البحث إلى تقديم رؤية تاريخية شاملة ومتكاملة للحياة الثقافية والاجتماعية لقبائل الفلان خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، من خلال دراسة مكونات النظام الاجتماعي، والممارسات الثقافية والدينية، وأنماط المعيشة اليومية، وإبراز الخصائص التي ميّزت هذه القبائل عن غيرها وأسهمت في صياغة هويتها الثقافية المتميزة.

وسيستخدم البحث على المنهج التاريخي التحليلي الذي يجمع بين تحليل المصادر المكتوبة المتاحة والمرويات الشفوية التي وثّقها المؤرخون المحليون، إضافة إلى الدراسات الأنثروبولوجية الحديثة، بهدف تفسير وتحليل مختلف الجوانب التي شكّلت حياة قبائل الفلان خلال هذه الفترة التاريخية الهامة.

## 1.. الشعب الفولاني الهوية والانتماء:

يظهر اسم "الفلان" في المصادر والمراجع وتنطق به ألسنة الناس بعدة صور، وذلك بسبب انتشارهم وتوزيعهم الجغرافي، مما أدى إلى اختلاف تسميتهم واتساع رقعتهم وتباين صفاتهم. تنوعت وتشعبت آراء الباحثين والدارسين حول مسألة أصلهم. سنحاول من خلال هذا الفصل تسليط الضوء على الشعب الفولاني بهدف معرفة أصلهم ومواطن تواجدهم، وأهم خصائصهم الطبيعية وملامحهم البشرية.

## 2.. الجذور الجغرافية

الفولان يعيشون في منطقة تعرف ببلاد فوتا، والتي تقع في الأودية الوسطى لنهر السنغال بين صحراء موريتانيا ومنحدرات منطقة سني غامبيا، على بعد حوالي 100 ميل شمال المحيط الأطلسي. وتنقسم بلاد فوتا إلى أربعة أقسام رئيسية:

-فوتا تورو في السنغال وموريتانيا

-فوتا جالون في غينيا

-فوتا بوندو في مالي

-فوتا ملو في بلاد آداماوا (بنيجيريا والكاميرون)<sup>1</sup>

وقد تحدث عن ذلك المؤرخ شمس الدين أبي عبد الله محمد، حيث قال: "في بلاد تكرور وكانم، أهلها فيهم حسن وجمال وملامح كما في الزغاوة من السودان".<sup>2</sup>

## 3.. التوزيع الإقليمي والتسميات المتنوعة

تنتشر قبائل الفولاني في العديد من مناطق إفريقيا، وقد أدى هذا الانتشار إلى تباين أسماء القبيلة من إقليم إلى آخر<sup>3</sup>، وذلك تبعاً لاختلاف لغة الشعوب التي تجاورهم في كل إقليم. فمثلاً، يسميهم جيرانهم في الهوسا بـ"فلاني" أو "فيلاني" أو "هيلاني". كما أطلق أهل برنو والسودانيون عليهم اسم "فلاتا" (Fellata)، وهي تسمية عربية قد يكون مصدرها "الفلات" من الحدود<sup>4</sup>. أما الولوف فيطلقون عليهم اسم "بوب" (Bob)، في حين يطلق الماندينغ عليهم اسم "فولا" (Fula) الفرنسيون يسمونهم "بيول" (Peul) للمفرد و"بيولس" (Peuls) للجمع، بينما يطلق الإنجليز عليهم اسم "فولب" (Fulbe). أما هم فيطلقون على أنفسهم اسم "بولو" (Pollo) للمفرد و"فولابي" (Folabi) للجمع<sup>5</sup>.

أما لغتهم، فهي تُعرف بـ"فولفولدي" أو "هالابولار". ومن المحتمل أن يكون أصل التسمية قد جاء من كلمة "بول" بمعنى الجماعة، أو من كلمة "فولادي" أو "فولتادي" التي تعني "فرد" أو "فرغول" بمعنى الهجرة باللغة الفولانية. ويبدو أن هذا يشير إلى كثرة التنقل من مكان إلى آخر، وهو ما يتماشى مع وصف حياة الشعب الفولاني باعتبارهم رعاة أبقار وممارسي تربية الحيوانات عموماً<sup>6</sup>.

لقد اختلفت آراء المؤرخين وعلماء الأجناس والآثار واللغويين حول مسألة أصل قبائل الفولاني، حيث اختار كل منهم رأياً خاصاً. يمكننا الآن عرض جملة هذه الآراء والأطروحات.

## 4.. الأنماط الجغرافية لهجرة قبائل الفلان

انتشرت شعوب الفولاني منذ أكثر من ألف وثلاثمائة عام، بدءًا من جنوبي موريتانيا الحالية إلى شرقي المحيط الأطلسي في فوتاتورو وفوتاجالون (غينيا وغامبيا)<sup>7</sup>. غير أن هذا الانتشار لم يحدد بفترة زمنية معينة؛ حيث يرى البعض أنهم قد هاجروا صوب الشرق منذ بداية القرن الثالث عشر الميلادي، واجتازوا أرجاء السودان الغربي إلى مناطق وسط إفريقيا وجنوبها وشرقها وصولًا إلى شبه الجزيرة العربية.<sup>8</sup> وقد نجم عن هذا الانتشار<sup>9</sup> وجود أبناء هذا الجنس في العديد من مناطق داخل إفريقيا وخارجها.

وقد كانت وراء هجرة الجنس الفولاني من موطنه الأصلي عدة أسباب، لعل أبرزها يتعلق بالسعي وراء المراعي والأراضي الخصبة الصالحة لتربية الماشية والزراعة. حيث أن ندرة موارد الرعي، وانتشار الأمراض، وعدم الاستقرار السياسي في مناطق الرعي، كلها أسباب رئيسية دفعت الجنس الفولاني للارتحال والبحث عن موطن آخر يضمن لهم ولقطعاتهم الظروف الملائمة للعيش. وبالتالي، فإن هجرة الجنس الفولاني كانت بمثابة شرط ضروري لتحقيق نمو اقتصادي أفضل<sup>10</sup>.

ذكر الشيخ محمد بيلو أن قبائل الفولاني افترقوا إلى ثلاث فرق. دخلت فرقة إلى بلاد فوتاتورو، وفرقة أخرى إلى فوتاجالون وسكنوا هناك. أما الفرقة الأخيرة فقد عازمت على السير إلى الشرق ليلتحقوا بقبائل آبائهم العرب، ومضوا حتى وصلوا إلى هذه البلاد وأقاموا فيها، واستمر بعضهم حتى وصلوا إلى بلاد العرب واندمجوا معهم.<sup>11</sup> ولعل البعض من أفراد هذه الفرقة الأخيرة قرر الاستقرار فيما يعرف اليوم بجمهورية السودان، حيث انتشر العديد من أفراد الجنس الفولاني في أغلب بقاع السودان، وعلى الخصوص منطقة "سنار"، وحوض خور القاش، وشلالات جنوب وشرق القضارف. ويعتقد أهل السودان أن الفولانيين قد قدموا من البلاد الواقعة غرب دارفور، وأكثرهم متواجد في المنطقة الجنوبية منها، حيث يعملون كرعاة للمواشي بالإضافة إلى الزراعة<sup>12</sup>.

أما بالنسبة للفرقتين اللتين استقرتا في فوتاتورو وفوتاجالون، فقد نزحت العديد من أفرادها نحو الجنوب. كان أول من هاجر من بلاد فوتاتورو من أبناء هذا الجنس هو الأمير موسى جوكولي (جكلو) ابن أمير المؤمنين إمام ديمبا، وهو أحد ملوك إمارة فوتاتورو.<sup>13</sup> حيث هاجر الأمير موسى جوكولي (GOKOLLO) من موطنه الأصلي واستوطن بلدة "كواني" الواقعة في بلاد غوبير بشمال نيجيريا، وكان ذلك في القرن الثالث عشر الميلادي/السابع الهجري.<sup>14</sup> ويعتبر هذا الأمير الجد الحادي عشر للمجاهد الشيخ عثمان دان فوديو، مؤسس الدولة العثمانية الفولانية الإسلامية في أواخر القرن الثامن عشر.

أما المجموعة الثانية من المهاجرين الفولانيين، فكانت بقيادة الفقيه موديو آداما، الذي هاجر من موطنه الأصلي في لاموردي ماسينا حوالي القرن الثالث عشر الميلادي. استوطن هو وجماعته في منطقة الشرق الجنوبي لدولة نيجيريا الحالية، والشمال الغربي لجمهورية الكاميرون. تُعرف هذه المنطقة اليوم باسم أدماوا.<sup>15</sup> كما تحرك فرع منهم إلى العديد من مناطق غرب إفريقيا، فتوجه البعض إلى بوندو، وبامبوك، والبعض الآخر إلى واسولو. وأكبر مجموعة ذهبت إلى بلاد جالونكا (JALONKA)<sup>16</sup> ولم تتوقف هنا موجات الهجرة الفولانية؛ حيث شهد القرن الخامس عشر هجرة مجموعة من الفولاني بقيادة بامبي ديدا (BAMBI DYADE) ومجموعة أخرى في القرن السادس عشر تحت قيادة كولي تنجيلا (Koli Tengela)<sup>17</sup> هكذا، استمر تدفق الجنس الفولاني في العديد من مناطق غرب إفريقيا، حيث وجدوا على هيئة أقليات محمية في مختلف الدول التي قامت في السفانا من السنغال إلى بلاد الهوسا.

أثناء الفوضى التي ارتبطت بالغزو السعدي في القرنين السادس عشر والسابع عشر، بدأ أفراد الجنس الفولاني يلعبون دورًا هامًا في سياسة الدول الصغيرة التي قاومت الولاة من أبناء شمال إفريقيا. وجدت منهم جماعات كبيرة بوجه خاص.<sup>18</sup> وكنتيجة لهذه الهجرات، أصبحت شعوب وجماعات كبيرة، وأفخاذ من الفولاني تعيش في شتات وأقليات مشدودة نحو الشرق، حيث تجدهم في كل من دول غينيا، السنغال، مالي، بوركينا فاسو، سيراليون، ليبيريا، ساحل العاج، غانا، توغو، موريتانيا، النيجر، الكامرون، نيجيريا، تشاد، السودان، إريتريا، إثيوبيا، جنوب ليبيا، جنوب الجزائر، السعودية، اليمن.<sup>19</sup>

## 5.. الهوية الثقافية والاجتماعية عند قبائل الفلان

### 1.5.. الجانب الاجتماعي

لفهم طبيعة الوضع الاجتماعي لدى قبائل الفلان، سنقوم بتحليل البنية الاجتماعية وعناصر تركيبها، ثم نتعرف على الأسرة الفلانية وأهم خصائصها، وكذلك أهم العادات والتقاليد التي تميزها. أخيرًا، سنسلط الضوء على المرأة ومكانتها في المجتمع الفولاني.

### 2.5.. التركيب الاجتماعي

تقوم البنية الاجتماعية عند قبائل الفلان على نظام طبقي اجتماعي موروث، يتميز بالفصل بين الأحرار والعبيد. هذا النظام يشابه الأنظمة الاجتماعية التقليدية لدى القبائل الإفريقية الأخرى. كما يقول إرفايل: "في إفريقيا نجد أوروبا الإقطاعية القديمة، حيث أن المجتمع ينقسم إلى قسمين غير متكافئين: الأولى فئة قليلة العدد تحكم وتشغل الفئة الأخرى الأكثر عددًا".<sup>20</sup>

- طبقة الأحرار (ريمبي) RIMBHE :

- الأحرار (ديمو) Dimo: يشغلون قمة السلم الاجتماعي، ويتولون القيادة في أوقات الحرب والسلم، ويمتلكون أكبر المساحات من الأراضي الزراعية.<sup>21</sup> هذه الطبقة تضم الملوك والعلماء والفقهاء.

- ريمبي- (هونبه) RIMBHE-HUMTHE : تعتبر من الطبقات النبيلة وتخدم الملك وحاشيته. تعرف أيضًا باسم "جاوامب (Jawambe)" وهي تلي طبقة الأحرار في السلم الاجتماعي، وأبناؤها أحرار من ناحية الأم فقط.<sup>22</sup>

- طبقة الصيادين والتجار (سي) Sobabhe

- تشطو (Cuballo) : يحترفون مهنة الصيد في الأنهار والتجارة، ويعرفون بأسماء مختلفة بين الفلانيين مثل "يوزواسومو" و"سركولي".

- طبقة الحرفيين والمغنيين (نيابي) Neembhe

- نيابي-فييارم: (Neebhe-Fecciram) تضم الحرفيين مثل الحدادين (أولوبي)، الدباغين (سكبي)، النحاتين (لوجي)، النساجين (تسينوبي)

- نياني نجوتوبه: (Neenbhe-Nagotoobhe) تضم المغنيين والمداحين بأسماء مختلفة حسب نوع الغناء الذي يقومون به، مثل "غولو" (Gwalo) و"بامباطو" (Bammbaado) و"جتتوا/اسكينو" (Jettowo/Astinowo) "

- طبقة العبيد (ماكودو) Maccudo<sup>23</sup>

- ماكوبة: (Maccubhe) تضم العبيد من أجناس وأعراق مختلفة، وهم إما أسرى حرب أو عبيد ريفيون. تحظى الفئة الريفية بمكانة أفضل مقارنة بأسرى الحرب، حيث يحصلون على مقابل لخدماتهم كزراع أو حرفيين.

### 3.5.. الأسرة والعائلة

تعد الأسرة الركيزة الأساسية في المجتمع الفلاني، وتنقسم إلى نوعين: العائلة البسيطة والعائلة المركبة.

- العائلة البسيطة : تتكون من رب البيت (الذكر)، زوجته وأولادهما.

- العائلة المركبة : تتكون من رب البيت وزوجاته (زوجتين أو أكثر) وأولادهم .

يعتقد الفلانيون أن زيادة عدد الأطفال (خصوصًا الذكور) تزيد من فرص العناية بالقطعان، حيث تتكامل العائلة مع القطيع. يتحدد دور كل فرد في الأسرة بناءً على العناية بالقطعان: الرجال يعتنون بالقطعان، بينما تهتم النساء بتحضير الوجبات واستغلال حليب المواشي في صناعة مشتقاته<sup>24</sup>.

نظام القرابة: يمتد عبر ثمانية أجيال، ويتم التفريق بين خط الذكور وخط الإناث. يمنح خط الأم الدفء والدعم والحب، ويقال "الحب يأتي من العشيرة الأمومية"<sup>25</sup>.

### 4.5.. المرأة ومكانتها

تلعب المرأة دورًا مركزيًا في الحياة الفلانية، حيث تتولى مسؤوليات عديدة تشمل الأعمال المنزلية ورعاية الأطفال. تستمر النساء في العمل اليومي الذي يتكرر تقريبًا كل يوم، ويشمل جمع الماء والخشب وتحضير الوجبات. بالإضافة إلى ذلك، تشارك النساء في جمع العشب لبناء الأكواخ وصناعة النسيج. يتم احترام سلوكيات النساء وتقديرها بناءً على دورهن في العناية بالقطيع والأسرة<sup>26</sup>.

باختصار، المجتمع الفلاني يعتمد على نظام اجتماعي طبقي معقد، يعتمد على التقاليد والموروثات الثقافية. تلعب كل طبقة دورًا محددًا في الحفاظ على التوازن الاجتماعي والثقافي بين أفراد المجتمع<sup>27</sup>.

### 5.5.. العادات والتقاليد

يُعتبر النظام القبلي من أبرز معالم المجتمع الفلاني، حيث يركز على مجموعة من العادات والتقاليد التي تُشكّل أساس الترابط بين أفراد القبيلة أو المجتمع المحلي. هذه العادات والتقاليد هي نتاج تفاعل العديد من الثقافات والتيارات الحضارية التي اندمجت مع المجتمع الفلاني عبر العصور.

نظرًا لطبيعة المجتمع الفلاني الرعوية المتنقلة، تمكّن الفلانيون من الاحتكاك بالعديد من الشعوب، مما أثرى ثقافتهم بالعديد من العناصر، ومع ذلك، حافظوا على أعراقهم وتقاليدهم التي تعكس هوية الجنس الفلاني. ومن أبرز هذه

الأعراف ما يُعرف باسم "Pulaaku"، وهو مجموعة من القيم تشمل الصبر، وضبط النفس، والحكمة، والتنبيؤ، والضيافة، والشجاعة، وغيرها من الصفات التي يعتقد الفلانيون أنها متجذرة في تقاليدهم ومعتقداتهم<sup>28</sup>.

تفاوتت المعتقدات والطقوس والممارسات الخرافية لدى الفلانيين حسب تنوع قبائلهم ومكان تواجدهم. ومع ذلك، يتفقون على وجود مجموعة من الأرواح، سواء كانت خيرة أو شريرة، تُحيط بهم وتُعرف باسم "Hendu" أو "Ginnawol"، كما تُعرف لدى قبائل الهوسا باسم "Gwoigwoi". يتجنب الفلانيون النطق بالأسماء الحقيقية لهذه الأرواح خوفاً منها، ويستعملون اسم "Keni" للتعبير عنها. يعتقدون أن هذه الأرواح تسكن في أماكن مختلفة مثل السحاب، وقوس قزح، والزوبعات، والآبار القديمة، والمنازل المدمرة وغير المأهولة. كما يعتقدون أن بعض هذه الأرواح تمتلك قطعاً من الحيوانات البرية، وإذا حاول صاحب الماشية اصطياد أحد هذه الحيوانات، ستنتقم الروح بقتل بعض قطعانه<sup>29</sup>.

إلى جانب ذلك، يظهر تأثير معتقد وجود الأرواح في حياة الفلانيين، حيث تحكي أسطورة شعبية أن الإله "كومين" علّم أحد أوائل الفلانيين، ويدعى "سيل ساجو"، كيف يعتني بالماشية ويصبح راعياً وكاهناً يدافع عن البقرة. تم تعليمه عبر 12 مرحلة، من خلال الأرواح الشريرة والإلهة الحاقدة والقوى الإيجابية مثل التمايم والطقوس والأشياء السحرية. ورغم أن هذه الأسطورة مليئة بالأحداث الخرافية، إلا أنها تعبر عن مدى تعلق الشعب بالرعى، وخاصة البقرة.

عند انتقال الفلانيين إلى أرض جديدة، يشعلون النيران للتأكد من وجود الأرواح من عدمه. إذا انتشر دخان النار مباشرة، فهذا دليل على وجود أرواح شريرة ويجب تغيير المكان. أما مؤشر تحديد مكان الاستقرار، فهو أن يتبعوا انجراف دخان النار إلى مسافة ما، قبل أن يرتفع، وهذا دليل على أنه المكان المناسب للاستقرار<sup>30</sup>.

بالنسبة للفلانيين المستقرين الذين يعملون في الزراعة، يؤمنون بوجود روح تشرف على زيادة المحصول تدعى "كيني". إذا لم يتم ذبح عجل أسود أو عنزة سوداء في سبيلها، فسوف تششت ثروة المزارع وتذهب البركة من مزرعته.

بعد انتشار الإسلام بين قبائل الفلاني، أزيلت العديد من الاعتقادات الخرافية، وأصبحت ثقافة الفرد الفلاني مبنية على أسس الشريعة الإسلامية. من بين الأمور التي حرّمها الإسلام على الفلانيين هو تناول لحم الخنزير، ولكن بقيت بعض العادات والأعراف المرتبطة بالوثنية. على سبيل المثال، كان من المحرمات غسل الملابس في أوقات معينة بسبب وجود الأرواح الشريرة، وقص الشعر، والقيام بخطوة الصباح بالقدم اليسرى أولاً. كما حُرّم على الطفل الرضيع شرب حليب الماعز لأنه يسبب الحكّة<sup>31</sup>.

## 6.5.. اللباس التقليدي

يمتاز اللباس التقليدي عند قبائل الفلاني بالأناقة، رغم أن هذا الأمر لا ينطبق على جميع مجموعاتهم، وخاصة القبائل الرعوية منها. يرتدي الرجال رداء طويلاً مع سروال من القطن،<sup>32</sup> ويرتدي الفلاحون قبعة من القش. أما النساء، فيلبسن رداءات طويلة ملونة ومطرزة بشكل بسيط، وبعضهن يرتدين الجلابيب ويزين أنفسهن بالقلائد والأقراط وخواتم الأنف والكحل.<sup>33</sup> لاحظ الرحالة كلابرتون في زيارته إلى إمارة كانو في بلاد الهوسا عادة صبغ النساء لشعرهن باللون الأزرق وكذلك صبغ أظافر اليدين والقدمين بمادة تُدعى "لامسونيا".

## 7.5.. الأمثلة الشعبية

يستخدم المجتمع الفلاني العديد من الأمثال الشعبية التي تُعتبر شكلاً قوياً ومعبراً من أشكال التواصل، حيث تتيح للفرد فهم المعنى بسرعة وترسيخه لفترة طويلة. في أفريقيا، يُقال إن المثل يساوي ألف كلمة. رغم أن الأمثال قد تكون مبنية على ثقافات وتقاليد معينة، إلا أن تطبيقها لا يرتبط بالضرورة بالمجتمع الذي أنتجها. يمكن للفلانيين تبني أمثال من مجموعات عرقية أخرى وجعلها مناسبة لظروفهم. الأمثال عادة ما تكون أقوالاً قصيرة ومكتنفة، مجهولة المؤلف، وموثوقة في تطبيقها. تحمل بعض الأمثال الفلانية طابعاً موسيقياً وإيقاعياً، مثل "Feere": "fendi fettande kono virazomhaazaani" والتي تعني: "الحاجة إلى إنتاج لبن حامض، لكن الحليب الطازج ليس مر<sup>34</sup>".

## 8.5.. الطعام التقليدي

يتكون الطعام التقليدي لدى الفلانيين من الدخن والحليب، حيث يتم تناول الدخن في الصباح والظهر،<sup>35</sup> وفي الليل يتم تناول عصيدة مع صلصة الطماطم بالفلفل والبصل والماء. نادراً ما يتم تناول اللحوم (الماعز، البقر) إلا في المناسبات الخاصة. بالإضافة إلى المشروب الذي يُدعى "أُنشيت"، وهو مشابه لمشروب الطوارق "إغيرة"، ومصنوع من جبن الطحين والحليب والتمر والدخن.

## 9.5.. الطب التقليدي

يُمارس بعض النساء الفلانيات التطبيب باستخدام الجذور والبذور والأوراق والزهور كأدوية، حيث يثق الفلانيون جداً بالأدوية التقليدية لأنها شيء عرفوه عن أجدادهم ووثقوا به<sup>36</sup>.

## 6.. الجانب الثقافي

تشكل الحياة الفكرية والثقافية لقبائل الفلاني حجر الزاوية لفهم لغتهم وأهم خصائصها. من خلال ذلك، نستطيع استخلاص معتقداتهم الدينية والروحية، وجوانبهم الثقافية المتعلقة بالاحتفالات والمناسبات، وطقوسهم الجنائزية.

## 7.. الجانب الديني والعقائدي

أوضح الباحث مزروي في العديد من مؤلفاته أن معظم سكان غرب أفريقيا لديهم تراث ديني ثلاثي: مسلمون، ومسيحيون، ومؤمنون بالديانات التقليدية المعروفة في مجتمعاتهم.<sup>37</sup> يُعتبر الدين في المجتمعات الأفريقية بمثابة التشريع الرئيسي للجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية مثل الزواج والطلاق والميراث والولادة<sup>38</sup>.

تشير الروايات الشفوية إلى أن الشعب الفلاني عرف ديناً آخر غير الإسلام منذ قرون، حيث كانوا يؤمنون بالله الخالق "جنو" (Geno)، لكنهم لم يعبدوه بحد ذاته، بل عبدوا الأرواح الخارقة الموجودة فيه. كان هناك ثلاثة مجالات:

• في أرض الوضوح حيث يعيش البشر مع الحيوانات والنباتات.

- في أرض شبه الظلام حيث تسود الآلهة مع ثمانية وستين روحًا.
- في أرض الليل العميق حيث تستريح أرواح الموتى والأرواح التي ستولد، وكذلك أرواح البشر والحيوانات والنباتات.

يعتقد الفلانيون أن الأرواح من شبه الظلام يمكن أن تجسد نفسها وتظهر للبشر في العالم العادي. في القرن الحادي عشر، اعتنقت مجموعة من الفلانيين المستقرين والمعروفة باسم "تورودبي" الإسلام وأصبحوا من كبار الدعاة في غرب أفريقيا<sup>39</sup>. بينما بقيت مجموعة من الفلانيين الرحل (البدو) متمسكة بالمعتقدات الوثنية الخرافية،<sup>40</sup> وفي بعض الأحيان مزجوا بين الممارسات التقليدية والتعاليم الإسلامية.

## 8.. حركة الهجرة والتغلغل الإسلامي بين الفلانيين

منذ القرن الثالث عشر الميلادي، قامت قبائل الفلاني بحركة هجرة واسعة، مما ساهم في انتشار الإسلام بين العديد من الشعوب الفلانية. وقد أصبح الفرد الفلاني يحتكم إلى الشريعة الإسلامية في جميع جوانب حياته الاجتماعية والسياسية<sup>41</sup>. لاحظ الرحالة مونغو بارك عند زيارته لمنطقة ماسينا أن حكومة الفولاني تختلف عن حكومات المانديجو في أنها أكثر صرامة في تطبيق الشريعة الإسلامية. حيث كان الفولانيون يعتبرون سلطة الشريعة وتعليمات الرسول صلى الله عليه وسلم أمراً حاسماً لا يمكن تجاوزه<sup>42</sup>. كانوا يؤدون الصلوات الخمس جماعة، ويذهب القرويون يوم الجمعة لأداء صلاة الظهر معاً، وعندما يعودون يأكلون الطعام معاً. خلال شهر رمضان، يصومون من الفجر حتى غروب الشمس، وعند الإفطار يخرجون من منازلهم لتناول الطعام مع جيرانهم. كما أصبحوا يحتفلون بالأعياد الإسلامية المعروفة<sup>43</sup>.

## 1.8.. نشاط تورودبي الفلانية في نشر الإسلام

في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، أصبحت مجموعة تورودبي الفلانية الإسلامية نشطة جداً في نشر الإسلام في العديد من مناطق غرب إفريقيا. ساهمت هذه المجموعة في بناء العديد من المساجد والكتاتيب لتعليم اللغة العربية وتعاليم الشريعة الإسلامية، بالإضافة إلى حفظ القرآن الكريم. مع توسع دائرة الإسلام، اعتنق بعض الحكام المحليين الإسلام وقبلوا به كدين جديد، إلا أنهم لم يتبعوا الشريعة الإسلامية وخلطوا بين الممارسات الإسلامية والوثنية. دفع هذا الأمر مجموعة تورودبي الفلانية إلى إعلان الجهاد ضد هؤلاء الحكام، مما أدى إلى ظهور العديد من الشخصيات الإصلاحية مثل عثمان دان فوديو، وسادوري توري، وعمر الفوتي، وغيرهم.

تعتبر حركة الهجرة والتغلغل الإسلامي بين الفلانيين ومجموعة تورودبي الفلانية الإسلامية من الأحداث المهمة في تاريخ غرب إفريقيا. فقد ساهمت هذه الحركات في نشر الإسلام وتعزيز دوره في المجتمعات الفلانية، مما أدى إلى تغييرات جذرية في البنية الاجتماعية والسياسية لهذه المجتمعات.

## 9.. المناسبات والاحتفالات في المجتمع الفلاني

تعتبر الاحتفالات بالمناسبات المختلفة مثل الزواج، الختان، الأعياد الإسلامية، والأعياد الشعبية، ذات أهمية بالغة في المجتمع الفلاني. تعكس هذه الاحتفالات ثقافة هذا الشعب ومقوماته الحضارية، وكان للتأثير الإسلامي أثر واضح وجلي على هذه الاحتفالات.

## 10.. الزواج

يتم الزواج عادةً بين أفراد قبائل الفلاني، سواء كانوا من نفس القبيلة أو بين قبيلة فولانية وأخرى، أو بين الفلانيين المستقرين والرحل. ومع ذلك، تفضل قبيلة "البورورو" الفلانية الزواج من داخل القبيلة أو المجموعة للحفاظ على ممتلكات الأسرة وتضامن العشيرة الأبوية.

من العادات السائدة في أوساط الشباب الفلاني ما يسمى "الشادو" أو "الشادي"، وهي تمارين تهدف إلى تدريب الشباب على الأعمال الشاقة، الصبر، قوة التحمل، وتحمل المسؤوليات، مما يهيئهم للحياة المستقبلية. تمارس هذه العادة في جميع المناسبات، وخاصة عند الزواج.

## 10.1.. أنواع الزواج

- زواج الحب : يتم خارج نطاق الأسرة، وتتمتع النساء الفولانيات بحرية واستقلالية في اختيار شريك حياتهن، دون إرغامهن على الزواج من شخص معين.

- الزواج الحر عند قبائل البورورو : في سن الخامسة يتم تزويج الصبية بصبي يقاربها في السن، ويحتفل الكبار بهذا الزواج ويذبحون البقر ويغنون ليالي عدة. إذا لم يحدث ارتباط بين الزوجين، يلحق كل مولود بقريتها إلى أن تتزوج فعلياً.

- زواج الأقارب : يُفضل الزواج من أبناء العمومة أو الأقارب بشكل عام. يحدث بين ابن الشخص أو ابنته أو بين أبناء أو بنات الإخوة الأشقاء<sup>44</sup>.

## 10.2.. مراسيم الزواج

تختلف طرق التزويج ومراسيم الاحتفال حسب العشائر الفلانية ومكان تواجدها. تسيطر على بعض المجموعات تقاليد قديمة، مثل نقل والد العروس بعضاً من قطيعه إلى العريس كمهرراً. تُعي بعض المجموعات الفلانية التي اعتنقت الإسلام مناسبات الزواج وفق الشريعة الإسلامية<sup>45</sup>.

## 10.3.. مراحل الزواج

1. طلب يد الفتاة: يبدأ الفتى وعائلته بطلب يد الفتاة من عائلتها، حيث يحملون هدايا تعبيراً عن رغبتهم في الزواج.
2. التحقق من صلاحية الزواج: تقوم عائلة الفتاة بالتحقق من صلاحية تزويج ابنتهم للخطيب من عدة نواحٍ مثل التكافؤ الطبقي وحالة الخطيب وسيرته.
3. الموافقة وإجراءات العقد: بعد الموافقة، تحدد العائلتان المهر وشروط النكاح، ويتم إعلان قيمة المهر وفضائل النكاح في حفل كبير.

4 . الاحتفالات والموكب: في يوم الزفاف، تقام وليمة لعقد النكاح يحضرها الأقارب والجيران. تنطلق الأفراح والزغاريد، وفي المساء، يتم ترحيل العروس إلى منزل زوجها في موكب يعرف باسم "دوموردو".

5 . تقديم الهدايا: عند وصول العروس إلى منزل زوجها، تقدم أم الزوج هدايا للعروس وصديقاتها<sup>46</sup>.

تتغير مراسيم وعادات الزواج بين قبائل الفولاني حسب المصاهرت والاختلاطات مع أعراق وتقاليد الشعوب المجاورة. في بعض المناطق، تتم مراسيم الزواج بشكل تمثيلي وكوميدي، حيث يحاول الخطيب اختطاف العروس، ويتصدى له أبناء عمومته للدفاع عنها، وبعد التأكد من موافقتها، يربط العروس ويسلمها لزوجها، مما يشير إلى الانتقال من السلطة الأبوية إلى السلطة الزوجية<sup>47</sup>.

تعكس المناسبات والاحتفالات في المجتمع الفلاني عمق الثقافة والتقاليد المتجذرة، وتأثير الإسلام الواضح على هذه الممارسات. يجسد الزواج في المجتمع الفلاني تداخل العادات القديمة مع التعاليم الإسلامية، مما يعزز الهوية الثقافية ويضمن استمرارها عبر الأجيال<sup>48</sup>.

#### 11..تسمية المولود وختانه

عندما تُزف العروس إلى منزل زوجها، تُعامل كضيفة محل احترام وتقدير. لا يترتب عليها القيام بالعديد من مهام المنزل إلا البسيطة منها، وتظل على هذه الحال حتى تلد مولودها الأول. عندما تحبل العروس، تُخبر زوجها بأنها تود الرجوع إلى أهلها للولادة. تتكفل امرأة مسنة من أهل الزوجة بإخبار أهل الزوج بأن زوجة ابنهم ستعود إلى أهلها للولادة، وتُسمى هذه العادة "وارتل بوفلي" (Wartul bufliy). "يتم تجهيز متطلبات الولادة وتسليمها إلى أهل الزوجة، وبعد أن تضع العروس مولودها، تبشر إحدى النساء أهل الزوج بهذا الأمر. تقام في اليوم الثالث من الولادة وليمة صغيرة تسمى "بوزدي" (Buezdey) ،<sup>49</sup> وفي اليوم السابع تقام حفل التسمية بحضور الأقارب والجيران، حيث تتم تسمية المولود غالباً بما يتناسب مع المناسبة.

تُعتبر أسماء المواليد عن طبيعة زواج والديهم أو ترتبط بأعراق القبيلة. فإذا كانت الولادة في يوم الاثنين يُسمى الطفل بذلك اليوم، وإذا كانت أثناء قدوم موسم الأمطار يُسمى الطفل بما يعبر عن هذه المناسبة. كما يمكن أن تُعتبر الأسماء عن طبيعة زواج الوالدين، فإذا كان من زواج الأقارب (أبناء العمومة) يُشار إليه باسم "تومبيدو" للذكر أو "ياندادو" للذكر و"نوميا" للأنثى.<sup>50</sup> الأسماء الأخرى تعكس تقاليد القبيلة، مثل "حمادوا" أو "أفو" للمولود الأول، "سامبا" أو "سامبو" للمولود الثاني، و"يايرو" أو "يرو" للمولود الثالث<sup>51</sup>.

#### 1.11..الختان

عندما يصل الطفل إلى سن بين 8 و15 عامًا، يُهيأ لإجراء عملية الختان (الطهورة)، وهي مناسبة مهمة تشير إلى الانتقال من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الصبا. يشارك في هذه المناسبة جميع أفراد المجتمع، وخاصة أفراد أسرته الذين يكون لكل منهم دور محدد وفق علاقته بالطفل المختون.<sup>52</sup> كان الفلانيون يجمعون عددًا كبيرًا من الأطفال الذكور ممن بلغوا سن الختان لإجراء العملية. تُنصب لهم خيام خارج القرية، ويأتي رجل يسمى "ونازم" لإجراء الختان. يمكث الأطفال في هذه الخيام حتى يتم شفاؤهم، ثم يعودون إلى القرية حيث تُقام لهم وليمة كبيرة احتفالاً بذلك<sup>53</sup>.

#### 12..الأعياد الإسلامية

يظهر التأثير الإسلامي الواضح على قبائل الفلان في احتفالاتهم بالأعياد الإسلامية الثلاثة: عيد الفطر، عيد الأضحى، وعيد المولد النبوي الشريف<sup>54</sup>. خلال شهر رمضان، يحرص أهل القرية على قيام الليل بمساجدهم. ومع اقتراب العيد، تكون الاستعدادات كبيرة لاستقباله، بتجديد أثاث المنازل وشراء الهدايا والملابس الجديدة للأطفال<sup>55</sup>. في عيدي الفطر والأضحى، يتجمع الناس في ساحة كبيرة خارج المدينة بحضور الأمير وأتباعه، ويؤدون صلاة العيد وتليها خطبة باللغة العربية من قبل الإمام أو السلطان. بعد الخطبة، يتبادل الناس التهاني ويتوجه الجميع في موكب كبير نحو منزل شيخ القرية لتناول وجبة إفطار، ثم يخرجون لزيارة أهل والأصدقاء<sup>56</sup>.

### 1.12.. الأعياد الشعبية

إلى جانب الاحتفالات الإسلامية، توجد أيضًا احتفالات ذات طابع وثنى عند قبائل الفولاني. تتفق جميع المناسبات الشعبية في كونها فرصة للشباب لتأمين زوجاتهم المستقبلية، وللفتيات لاختيار الشريك المناسب. في هذه الاحتفالات، تزين الفتيات بأفضل الملابس والحلي، وخلال الرقص والغناء يختارون من يعجبهن من الشباب.

أحد أشهر المهرجانات عند قبائل الفولاني هو مهرجان "شارو" (Sharo) الذي تحتفل به قبائل البورورو الفلانية فقط، ومهرجان "جاني" (Gani) الذي تحتفل به مجموعات الفلاني المستقرة والمتنقلة<sup>57</sup>.

تعكس المناسبات والاحتفالات في المجتمع الفلاني مزيجًا من التأثيرات الإسلامية والتقاليد القبلية العريقة. تشكل هذه الاحتفالات جزءًا مهمًا من الهوية الثقافية للفلانيين، مما يعزز الروابط الاجتماعية ويضمن استمرار التقاليد عبر الأجيال<sup>58</sup>.

### 2.12.. مهرجان شارو

يُقام مهرجان شارو مرة أو مرتين في السنة، وقد أشار إليه الشيخ محمد بيلو حيث ذكر أن نارًا عظيمة تُوقد ويُذبح البقر، ويتم وضع جزء من اللحم حول النار<sup>59</sup>. يُعد هذا المهرجان فرصة للشباب لإظهار شجاعتهم وقدرتهم على التحمل، حيث يقوم الرجال بضربهم بالعصا ضربًا مبرحًا. إذا استسلم الشاب للألم، يصبح محل سخريه خاصة من الفتيات، وكثيرًا ما يخرج الشاب مثخنًا بالجراح والالام<sup>60</sup>.

### 3.12.. أعياد أخرى

هناك مناسبات أخرى تختلف مواسمها ومضامينها، مثل مناسبة تُدعى عيد سيد القطيع أو صاحبه، حيث يتم إرسال الثور الذي خدم عشيرته مدة عشر مواسم ليُذبح ويُتناول لحمه. تُعد هذه المناسبة من أعياد اللحوم النادرة عند قبائل الفلاني، وهي فرصة لإظهار الصفات الرجولية<sup>61</sup>.

### 13.. الجنائز ومراسم الدفن

عند وفاة شخص ما في القرية، تُمنع النساء من البكاء والندب<sup>62</sup>. يقوم شخص من عائلة المتوفي بشراء قطعة قماش بيضاء لتجهيز الكفن. إذا كان المتوفي رجلاً، يتولى أحد أقربائه المقربين عملية غسله، وإذا كانت امرأة، تتولى إحدى قريباتها هذه العملية بمساعدة بعض الأقارب، ولا يُسمح لشخص غريب بالدخول إلى غرفة التغسيل.

يتم تعطير الجنازة بالعطور الجافة مثل الصندل وصفق الصدر، ثم تُقام الصلاة على الميت في المسجد أو في منزله إذا كان بعيداً عن المسجد، وتُشيع الجنازة<sup>63</sup>.

#### 1.13..دفن الميت

يختلف دفن الميت بعض الشيء بين قبائل الفلاني. فمثلاً، قبيلة البورورو الرعوية تدفن المتوفي الذكر في مكان استراحة الماشية في المخيم، أما النساء فتُدفن بالقرب من الأكواخ السكنية. هذا الارتباط بمكان الدفن يعكس مهام كل منهما في حياتهما، حيث كان الرجل يرعى الماشية فيُدفن في مكان استراحتها تكريمًا له، وتُدفن المرأة قرب الأكواخ السكنية لارتباطها بأعمال المنزل<sup>64</sup>. أما جماعات الفلاني المستقرة، فيذكر الرحالة كلابرتون أنهم يدفنون موتاهم تحت أرضية منازلهم دون نصب، ويظل المنزل بكل محتوياته ويشغله أهله، لكن عند الأغنياء يُهجر البيت. أما العبيد، فتُسحب جنازتهم خارج المدينة وتُترك فريسة للحيوانات المتوحشة<sup>65</sup>.

بعد ذلك، يمكث أهل المتوفي في منزله لمدة ثلاثة أيام تُقرأ فيها القرآن الكريم على روحه. في اليوم الثالث، يُنهي المأتم، وفي اليوم السابع تُوزع ما يُعرف باسم الدينباري (Denbary) والوين (Wayna) كصدقة للميت، ثم يعود أهل المتوفي إلى منازلهم<sup>66</sup>. تُجبر المرأة التي توفي زوجها على نزع حلها وكل علامات الزينة، ولمدة عشرة أيام لا تتناول سوى الماء والسكر وتبقى في خيمتها مدة أشهر مطأطأة الرأس. عند انتهاء مدة الخمسة أشهر، تخرج من عدتها، وبعد مرور سنة من الوفاة، يمكنها الزواج من أحد إخوانه إذا رغبت بذلك، وإذا رفضت فلها ذلك<sup>67</sup>.

#### 14..الجانب الاقتصادي والسياسي

##### 1.14..الجانب الاقتصادي

يقصد بالوضع الاقتصادي القواعد التي يسير عليها المجتمع في شؤون إنتاجه واستهلاك منتجاته وتبادل وتوزيع ثروته. يعد النشاط الاقتصادي من أهم الدعائم التي يقوم عليها البناء الاجتماعي ومن أكثر العوامل تأثيراً في تطوره ونموه<sup>68</sup>. سوف نتعرف فيما يلي على أهم النشاطات الاقتصادية عند قبائل الفولاني.

#### 2.14..نظام الرعي

يعد قطاع الرعي وتربية الماشية أحد الدعائم الهامة في اقتصاد قبائل الفولاني، فقد ارتبط تاريخهم برعي القطعان خاصة الأبقار. يتطلب رعي الماشية عنصرين هامين هما الحشائش والمياه، وهذان العنصران يرتبطان بالتساقط. تحدد حالة المطر نطاق الرعي في المناطق التي يتواجد فيها الفولانيون في غرب أفريقيا. هذه المنطقة تحظى بنطاقات بيئية واسعة توفر الظروف المعيشية للماشية<sup>69</sup>.

في شمال نيجيريا الحالية (بلاد الهوسا) حيث تتواجد العديد من المجموعات الفولانية، تحدث التغيرات الموسمية نتيجة حركة الرياح الموسمية الشمالية الشرقية الجافة من الصحراء، فتجلب على المنطقة موسم الجفاف. أما الرياح الموسمية الجنوبية الغربية الرطبة من خليج غينيا، فتجلب موسم الأمطار. عندما يبدأ موسم الجفاف في شمال منطقة السافانا في شهر سبتمبر أو أكتوبر، تتحرك قبائل الفولاني الرعوية نحو الجنوب بحثاً عن المراعي والماء، فتستقر في هذا الجزء فترة طويلة حتى شهر سبتمبر<sup>70</sup>.

ومع دخول الموسم الرطب، يتراجع الرعاة الفولانيون من الأجزاء الجنوبية خوفاً من ذبابة التسي تسي، التي تصيب صاحبها بمرض النوم، ويتجهون مرة أخرى إلى الأجزاء الشمالية حيث يكون موسم الأمطار قد ابتدأ، فتتعاوى النباتات وتظهر البرك المائية.<sup>71</sup> تعد عملية الرعي في فصل الجفاف عملية شاقة ومتعبة، فالراعي يأخذ قطيعه إلى مسافة بعيدة عن مخيمه وقد يضطر الراعي إلى مغادرة مناطقه إلى مناطق أخرى تتوفر فيها الظروف الملائمة، ويكون ذلك سيراً بماشيته.<sup>72</sup> تختلف سرعة وطول التحركات الموسمية للرعاة من منطقة إلى أخرى، وقد ترتبط بالعديد من الظروف المحلية، أبرزها مدة المواسم الرطبة والجافة، حجم القطعان، كثافة السكان المستقرة في المنطقة، ومدى مساحة الأراضي الخضراء، وأيضاً توفر الأسواق التي يمكن فيها بيع منتجات الألبان أو تبادلها للحصول على الحبوب والأطعمة المختلفة.

بسبب صعوبة الرعي وحرارة الجو وطول المسافة التي تقطعها الماشية للذهاب إلى مناطق الرعي والعودة منها، فإنها تُنهك ويقل إدراك اللبن وبالتالي تقل منتجاته التي تُباع للحصول على حاجات الحبوب. أما في فصل الأمطار، فيكون الرعي أكثر سهولة، حيث يرعى القطيع على مسافات قصيرة من مخيمه، وتصبح مياه الشرب متوفرة، ويزيد إنتاج اللبن لوفرة المرعى. يقدم الرعاة ضريبة إلى رؤساء القبائل والعشائر التي يرعون في أرضهم، وقد تختلف قيمتها من منطقة إلى أخرى. يحاول بعض الفولانيين الرعاة التهرب من تسديدها، وقد تجمع بين حكام تلك المناطق والرعاة الفولانيون علاقات طيبة بحكم العطاءات والهدايا التي يقدمها الرعاة لهم، فيسمح لهم بالرعي في مناطقهم دون أي مقابل. يحدث هذا الأمر عادة في المناطق التي تكون فيها القبائل وثنية.<sup>73</sup>

يتكون قطيع الرعاة الفولانيين من مجموعة متميزة من الماشية في شكل مخروطي، يتواجد فيها ثور واحد على الأقل، ومجموعة من الأبقار والعجول، وفي بعض الأحيان الماعز والجمال. يحظى الثور بمكانة مميزة في القطيع، حيث يُعنى به بشكل خاص فيُسقى بمفرده ويقضي الليل في مكان مخصص له وحده. صاحب القطيع الذي يشرف على إدارته اليومية هو رب الأسرة، وقد أُشير سابقاً إلى العلاقة الموجودة بين العائلة والقطعان، حيث تشكل الأخيرة المصدر الوحيد لحياتهم. تتقاسم أفراد العائلة مهام الاعتناء بالقطيع.<sup>74</sup>

لا يشكل لحم القطيع نظاماً غذائياً عندهم، ولا يتم بيع الماشية إلا عند الضرورة. تعيش الأسرة على اللبن ومشتقاته، وفي حالة انخفاض إنتاجه، يتعين عليهم بيع بعض القطعان لشراء الغذاء. بما أن القطعان هي المصدر الأساسي للدعم بالنسبة للعائلة الفولانية، فإن رعايتها تكون أيضاً بشكل مميز. لو لاحظنا الخصائص العامة للقطيع، لاكتشفنا أن قطيع الرعاة الفولانيين ليس مجرد مجموعة حيوانية يتبعها فرد ويستغلها بشكل منقطع، بل هو نظامي تم ترويضه بطريقة معينة.<sup>75</sup>

يستلزم ذلك تنظيمًا خاصاً في العائلة صاحبة القطيع، حيث تتم عمليات استطلاعية عن الأماكن الرعوية المناسبة والبعيدة عن الأمراض التي تصيب القطيع. يجب ترتيب إمدادات المياه وتغذية الماشية بانتظام وتجنب الحوادث التي تحدث في القطيع ومعالجتها، مثل ولادة العجول. في هذه الحالة، يساعد المراعي لأنه يعد مكسباً جديداً للقطيع لا بد من الاعتناء به.

يتم تقسيم المهام في العائلة، فيتولى الرجال الماشية وحركاتها الموسمية والمراعي اليومية والرعاية البيطرية. أما المرأة، فترتبط باللبن وتسويقه بالإضافة إلى مهامها المنزلية، حيث تقوم بحلب القطعان وترك اللبن لتتكون القشدة فوق سطحه. تحدث هذه العملية طبيعياً عندما يكون الطقس حاراً، أما إذا كان الطقس بارداً، فإنهم يضيفون بعض

المواد. بعد ذلك، تُستخلص الزبدة عن طريق الخض وتُشكل على هيئة كرات وتوضع في الماء المتخلف عن الزبدة، وتُؤخذ إلى السوق وتُباع في المدينة أو القرية التي قد تكون بعيدة عن المخيم. بالإضافة إلى الزبدة، تُؤخذ أيضاً كميات من اللبن لبيعها. تشرف المرأة على هذه العملية والنقود التي تحصل عليها من هذه الأعمال تكون ملكاً لها ولا يأخذها زوجها، وهي تُنفق في شراء ما يلزم البيت من حبوب وأطعمة وملابس لأطفالها<sup>76</sup>.

يتميز الفلاني الراعي بمعرفته الجيدة لأبقاره وماشيته، وقد لا يعرف عددها تماماً، لكن إذا غابت واحدة فإنه يعرفها ويعرف أوصافها، ولا يهدأ حتى يجدها. يستعين في ذلك بأسماء وألوان الشعر المختلفة التي يعرف بها أبقاره، بل ويستطيع أن يميز أبقار جيرانه ولو كانوا في نفس قريته أو مجمعه<sup>77</sup>. عندما يتحرك الفولاني بقطيعه، فإن أغلب الصيحات التي يطلقها كتعليمات يوجهها لماشيته يستطيع بها التحكم بهم. بل ويستطيع أن يمر بالقطيع دون إصدار أي صوت<sup>78</sup>.

### 3.14.. النظام الزراعة

أدى استقرار الفولانيين في العديد من المناطق في غرب أفريقيا إلى البحث عن مهنة جديدة تتلاءم مع طبيعة استقرارهم. التحق الكثير منهم بمهنة الزراعة، التي ما لبثت أن أصبحت من المهن الرئيسية عند قبائل الفولاني<sup>79</sup>. اختار البعض الآخر الجمع بين القطعان والزراعة نظراً لأن خصوبة الأرض ذات قيمة كبيرة عند الراعي والمزارع. لاحظ الرحالة وينتر بوتوم (Winterbottom) العناية الكبيرة التي يولونها للأرض، فقد أصبحوا على دراية بثقافتها أكثر من الزوج. كما يتحدث الرحالة كيلي (Caillie) بإعجاب عن العناية التي يولها الفولانيون لأرضهم حيث يقول: "إن حقولهم يتم الاعتناء بها جيداً مثل حقولنا"<sup>80</sup>.

في منطقة فوتاجالون، تستغل قبائل الفولاني السهول الفيضانية الواقعة على الضفة الجنوبية للسنغال، حيث يمكن زراعة المحاصيل عندما تنحسر الفيضانات كل عام خلال شهري أكتوبر ونوفمبر في منطقتين مميزتين هما والو (Waalo) وجيري (Jeori). تقع الأولى بجوار نهر السنغال وتعمرها المياه خلال موسم الأمطار. عندما تتراجع الفيضانات، تزرع هذه الأرض بالدخن والأرز والخضروات. أما منطقة جيري، التي يكون مصدر مياهها الآبار العميقة، فيزرع فيها الدخن خلال موسم الأمطار. يقسم الفولانيون في فوتا تورو السنة إلى موسمين للزراعة: موسم زراعة منطقة جيري أثناء هطول الأمطار، وموسم زراعة منطقة والو بعد هطول المطر. غير أن إنتاجهما يختلف، فمنطقة جيري لا تنتج ما يكفي للأسرة طوال العام<sup>81</sup>.

وصف لنا الرحالة كيلي عملية الزرع حيث قال فيما معناه إنهم يضعون أكواماً صغيرة من الأرض لوضع الفستق والبطاطا ويرتبونها بحيث تكون في ارتفاع واحد، وبمحاذاتها يزرع الأرز والدخن في أرض محروثة. أثناء هطول الأمطار الأولى، يزرعون حول مساكنهم الصغيرة. يزرعون القطن بين سيقان الذرة عندما تكون مزهرة، وعندما تنضج الذرة في وقت مبكر يتم نزعها لتتاح للمحاصيل الأخرى النمو بشكل طبيعي. لاحظ الرحالة كيلي أن بعض نساء الفولاني يعملن في إزالة الأعشاب الضارة في الحقول<sup>82</sup>. عندما يريد المزارع الفولاني تطهير حقله، يقوم بتحديد الجزء الذي ينوي زراعته، ويمزق الكروم والشجيرات ويحرقها لينشر الرماد على الأرض. تهيأ تبعاً لذلك هذه الأرض وتكون جاهزة لزرع القمح والأرز والذرة<sup>83</sup>.

في شمال نيجيريا، حيث تتواجد العديد من مجموعات الفولاني مع قبائل الهوسا، نجد أن كلا الجنسين يعملون على الأرض. يستخدم الرجال مجرفة طويلة، وتحمل النساء سلة مليئة بالبذور. يقوم الرجل بحفر الأرض بالمجرفة مخلقًا حفرا صغيرة، تنثر فيها المرأة البذور وتغطيها بقدمها.

تتكون المنتجات الزراعية الرئيسية عند قبائل الفولاني من الدخن والأرز والقطن والتبغ. يزرعون نوعين من الأرز: واحد كبير وأبيض كثيرًا ينمو على المرتفعات، والآخر أصغر منه ينمو في المياه المنحلة. كما يمتلكون نوعين من الدخن، الفستق، الفاصولياء الصغيرة، البطاطا الحلوة، البصل، والزهور الصفراء.<sup>84</sup> في بلاد الهوسا، تتكفل النساء بتخليص الغصن من البذور عن طريق دبابيس حديدية صغيرة.

يمكن أن نميز نوعين من الإنتاج الزراعي يرتبطان أشد الارتباط بالنظم الاجتماعية وبما يسود المجتمع من عادات وتقاليده: الإنتاج المعاشي أو الاستهلاكي، والإنتاج النقدي والتجاري. الإنتاج النقدي والتجاري لم تعرفه قبائل الفولاني إلا في مراحل متأخرة جدًا بعد مجيء الاستعمار.<sup>85</sup> الشائع عندهم هو إنتاج المحاصيل التي تكفي لتلبية متطلبات الأسرة. وقد يكون هناك فائض يُباع على المستوى المحلي.<sup>86</sup> يخصص للإنتاج المعاشي جزء كبير من الأرض المنتجة والقوى العاملة والجهد المبذول. يستهلك جزء كبير من هذا الإنتاج بواسطة الجماعة المنتجة، ولا يتطلب هذا النوع من الإنتاج طرقًا أو وسائل معقدة.<sup>87</sup> يعتمد النظام بأكمله على حيوان للجر، اليد العاملة، والأدوات الرئيسية مثل المجرفة والفأس وغيرها.<sup>88</sup>

الوحدة الرئيسية في الإنتاج المعاشي هي البيت، الذي يتكون من الرجل وزوجته أو زوجته وأبنائه. قد يضم البيت كذلك بعض الإخوة المتزوجين والأعمام، ويعمل كل هؤلاء كوحدة متعاونة في حقل واحد، تحت رئاسة رب البيت وإشرافه. تختلف مساحة الحقل الذي تقوم العائلة بزراعته باختلاف خصوبة الأرض، نوع المحصول، مهارة المزارع نفسه، وكذلك كثافة السكان في المنطقة وقربها.<sup>89</sup>

#### 4.14.. نظام الصناعة

عرفت قبائل الفولاني بامتيازها العديد من الحرف والصناعات، فقد اشتهرت بالصناعات الجلدية والفخار والطوب والنحت. لعبت هذه الصناعات اليدوية التقليدية دورًا هامًا في الحياة الاقتصادية للمجموعات الفلانية،<sup>90</sup> حيث كانت هناك العديد من الطبقات الحرفية التي تشرف على هذه الأعمال وتسوقها محليًا وخارجيًا. من بين هذه الطبقات طبقة Maboube، الذين كانوا يعتبرون من أشهر النساجين الذين يتوارثون هذه المهنة كابريًا عن كابر. أهم منتجاتهم التقليدية هي البطانيات المعروفة باسم "لي شبايا دهي"، وهي من نسيج صوف الأغنام المغزولة يدويًا. يبلغ طولها من ستة إلى ثمانية أقدام، وهي مكونة من شريط ضيق يربط بعضها البعض، وغالبًا ما يكون هناك خطوط وأشربة باللون الأسود والأحمر والأبيض، ويتوقف ذلك على حسب الطلب.<sup>91</sup>

عمل النسيج هو من الصناعات المحلية الرئيسية، حيث نجد أن كل عائلة تقوم بتدوير ونسج اللوحات والملابس أيضًا. يقوم الرجال بالنسيج والخياطة، بينما تتولى النساء تدوير ووضع القطن.<sup>92</sup>

أما عن الصناعات الطينية، فهي من الأعمال الدقيقة والمميزة حيث تستغرق عملية صنع قطعة من الطين ما يقارب أربع أيام إلى أسبوع لاستكمالها، حسب حالة الطقس. عادة ما يتم قماش الطين بصنع عدد من شرائط القماش الفردية، وبعدها تتم خياطتها معًا ليتم صبغ قطعة القماش بالكامل بمادة تدعى "بوجلون" (Boglon)، والتي تعمل

كعنصر أساسي في التصميمات المرسومة بالطين باستخدام طين معد خصيصاً لذلك. بعد ذلك، يتم تبييض بعض أجزاء النسيج بعد اكتمال العملية<sup>93</sup>.

بالإضافة إلى النسيج وصناعة الطين، برع الفولانيون أيضاً في نحت الخشب. كانوا يصنعون "القرع" أو ما يسمى "calabashes"، والذي كان يستخدم لتوفير الأطعمة والمشروبات، ويوضع فيه حليب القطعان بعد حلبها. يتم نقش هذا القرع بمجموعة من الزخارف التجريدية والرسمية بألوان جميلة. كما كانوا يصنعون التماثيل الدقيقة والأثاث الذي يتم بيعه بعد ذلك في السوق. المميز في أعمالهم أنها بسيطة الأدوات ولكنها أعمال فنية مبدعة. تصنع المنحوتات الخشبية من خشب الأبنوس أو الأشجار الخشبية الصلبة الأخرى. خشب الأبنوس هو المفضل لديهم لأنه خشب قاسٍ وجميل ويعطي لمعاناً جميلاً عندما يتم تلميعه<sup>94</sup>.

أما عن الصناعات المعدنية، فنجد أن الفولانيين يحتكرون هذه المهنة حيث يعتبرون الوحيدين الذين يعرفون كيفية استغلال مناجم المعادن. يروي الرحالة وينتر بوتوم أنه في فوتاجالون، يقوم الفولانيون بحفر الأرض واستخراج الحديد القابل للطرق. يصنع الحدادون السيوف والرماح وحتى الأسلحة والأقفال وغيرها<sup>95</sup>. كما يتم تصنيع الأعمال النحاسية، والتي تعد من العمليات الشاقة جداً حيث يتم تشكيل الشمع باليد على نار مفتوحة، حتى يتبع تصميم القالب المناسب. بعد ذلك، يتم تهذيب الشمع في مسحوق ناعم جداً عدة مرات.

#### 5.14.. الحرف اليدوية والفنون التقليدية عند الفولاني

يتم تسخين الصلصال حتى يذوب الشمع، وفي النهاية يُسكب النحاس المصهور لاستبدال قالب الشمع القديم. تُعد الأقراط الضخمة التي ترتديها المرأة الفلانية من أبرز منتجات الصناعة النحاسية. تكون هذه الأقراط مرصعة بأشياء براقية على شكل هلالين مربوطين بخيط أحمر، وثقيلة بما يكفي لشد شحمي الأذن. غالباً ما تُصنع من النحاس وتُغلف بورق ذهبي ليبدو كأنها مصنوعة من الذهب<sup>96</sup>.

كما تُعد صناعة الفخار من الحرف التقليدية الأكثر طلباً وإقبالاً. تُستخدم هذه المنتجات للأموار المنزلية والطقوسية. تتميز أنماط الفخار الفولاني بتنوع ديكوراتها وألوانها المختلفة. في مجتمع الفولاني، تقوم طبقة خاصة تُسمى "مابوجي" بالتصنيع الفعلي للوعاء، مما يُظهر تبايناً في الشكل، والتقعر، وأشكال حافة الوعاء. ورغم ذلك، فإن عملية إنتاج الفخار محلياً محدودة جداً، لذا لا يتم تسويقها أو تداولها خارجياً<sup>97</sup>.

#### 6.14.. الدور الاقتصادي والاجتماعي للأسواق

يلعب السوق دوراً مهماً في حياة الشعب الفولاني، إذ يمكنهم من خلاله ترويج منتجاتهم المتنوعة سواء المتعلقة بأعمالهم اليدوية أو بمنتجات ماشيتهم<sup>98</sup>. تتكفل المرأة بتجارة اللبن ومشتقاته في الأسواق القريبة التي تُسمى "cippal"، وكذلك بيع بعض منتجاتهم اليدوية مثل حصير القش، القرع (كالاباش)، الصابون، وغيرها. أما الرجال فيغمرسون السوق بماشيتهم وسلعهم المختلفة مثل الجلود والصوف واللحوم<sup>99</sup>.

قد يكون توجه الشعب الفولاني نحو التجارة ناتجاً عن تأثرهم بالشعوب المجاورة، وخاصة قبائل الهوسا التي عُرفت بمزاولتها للتجارة بشكل كبير.

#### 15.. التنظيم السياسي عند الفولاني

يتميز التنظيم السياسي عند قبائل الفولاني بسمات مختلفة وفقاً للمنطقة التي يتواجدون بها. يتضمن نظام الحكم الأمير الذي يُدعى "Almany" لكل قبيلة من قبائل الفولاني أمير يسير شؤونها في تلك المدينة أو المنطقة. يُعتبر الأمير السلطة العليا وله حق القرار في السلم والحرب،<sup>100</sup> ويتم انتخابه من قبل الشعب. تختار كل قبيلة مترشحاً واحداً، ومن ثم يُعهد الأمر إلى المجلس الأعلى المكون من خمسة أفراد لاختيار الأمير المناسب. يُمارس هذا المجلس مهامه بشكل دائم خلال فترة حكم الأمير "Almany"، ويحق له توبيخه أو عزله إذا لزم الأمر. يحظى الأمير "Almany" باحترام وتوقير كبيرين من رعيته، حيث تشير تسميته إلى "أمير المؤمنين"، مما يدل على مكانته الدينية والسياسية.

يُتوّج الأمير "Almany" في احتفالية بسيطة يحضرها جميع سكان القرية أو المدينة. تقام هذه الاحتفالية في المسجد أو في الساحات الهامة، حيث يلقي الأمير خطبة قصيرة ثم يضع الإمام عمامة بيضاء فوق رأسه، كرمز نهائي للسيادة. توضع في يده اليسرى عصا سوداء طويلة، ويُقسم على القرآن للحفاظ على دين آبائه والتصدي لأعداء الدين. بذلك يحظى الأمير بالتركيز الشعبية والتكريس الديني لسلطته.<sup>101</sup>

تتكون إيرادات الأمير "Almany" من الضرائب المفروضة على السكان أثناء الحصاد، ومن عائدات القوافل التجارية التي تمر بمناطقه. بالتالي، فإن الأمير "Almany" هو المسؤول الوحيد عن الشؤون الاجتماعية، السياسية، والاقتصادية لمجموعته، كما أنه المتحدث باسمهم في التعامل مع الجماعات والشعوب الأخرى.<sup>102</sup>

#### 1.15.. الأمراء والمشايخ في الفولاني

من بين الأمراء المبكرين لقبائل الفولاني نجد الحاج محمد الحسكي الذي كان في تمبكتو أيام السلطان منسى موسى، وفي عهد دولة السغاي كان هناك الأمير كاوور، والأمير الشيخ بن عبيد بن عمرو، جانب الساسي بن العامي، والأمير السيع بن عبيد وغيرهم.<sup>103</sup>

إلى جانب الأمير في التنظيم السياسي نجد "lambdo"، وهو الرئيس الذي يمثل الأمير "Almany"، حيث يقوم بقيادة الجيش وتنظيمه، كما يُكلف بتعيين رؤساء القرى الثانوية التابعة لسيطرته.<sup>104</sup> كما نجد أيضاً على رأس السلطة الدينية "الشيخ"، حيث لكل فخذ من أفخاذ الفولاني شيخ يأتَمرون بأمره. الشيخ هو المسؤول عن حفظ الأمن وفض المنازعات، ويُعتبر بمثابة مفتي القرية أو المدينة. من بين أبرز مشايخ الفولاني الشيخ محمد قاطم بن محمد كوري في فترة دولة سنغاي.

إلى جانب الشيخ نجد ما يسمى "الإمام"، وهو من المناصب الروحية عند قبائل الفولاني. يتولى الإمام تعليم أبناء القبيلة القرآن الكريم وتعاليم الدين الإسلامي. من أشهر العلماء الذين تولوا منصب الإمامة "كولافون جلو"، وله مؤلفات عديدة وشروح في النحو والفقه.<sup>105</sup>

#### 2. 15.. التحول السياسي للفولاني

استطاعت مجموعات الفولاني منذ مطلع القرن الثامن عشر أن تتحول من رعاة متنقلين إلى قادة محنكين، حيث قادوا أشهر الحركات الإصلاحية التي ظهرت في غرب إفريقيا. يبدو أن ظهورهم على مسرح الأحداث السياسية مرتبط بدخولهم الإسلام. عند فتح عقبة بن نافع لإفريقيا جنوب الصحراء، اندمجوا مع الفاتحين، وظهرت مساهمتهم

السياسية جنباً إلى جنب مع سلاطين مالي، سنغاي، برنو، مما جعلهم يحظون برضى سلاطينها. حصلوا على عدة امتيازات أهمها إعفاؤهم من الضرائب، كما حصل زعيمهم "عبد أماه" في فترة مملكة برنو على لقب "سيدكب"، وهو لقب تشريفي على الرغم من أنه لم يحكم تلك الولاية.

### 3.15.. الأهمية السياسية والتحالفات

أصبح الفولاني يمثلون ثقلاً سياسياً واقتصادياً في عهد الماي بن الحاج حمدون (1750-1791).<sup>106</sup> حاولت قبائل الفولاني فرض نفسها على جل الممالك التي قامت في السودان الغربي بخلق تحالفات مع غيرها من القبائل، حتى تلك التي لا تدين بالإسلام. شكلت هذه التحالفات خطورة على إمبراطورية السنغاي في زمن السلطان أسكيا الحاج محمد،<sup>107</sup> ونلتمس هذه الخطورة من السؤال الذي توجه به أسكيا للعالم محمد بن عبد الكريم المغيلي:

... "وأيضاً جوابكم في المحاربين من فلان وغيرهم معهم أناس من مسوفة وغيرهم، وهم ساكنون معهم ملازمون لهم، في الرحيل والتزول ويخالطونهم في كل شيء من أموالهم وأموالهم وخيلهم مع خيلهم، يغزون معهم ويحاربون معهم هذا هو غالب أحوالهم ... وحيء بهم إلينا فقالوا ما نقدر على الخروج عنهم مخافة أن يأخذونا وإن خرجنا يأخذنا غيرهم، لأننا مساكين لا نقدر على الدفاع عن أنفسنا، فرددنا إليهم أموالهم وقلنا لهم افترقوا عنهم، فهل نترك غزو المحاربين لكي لا نضر أولئك المسلمين الذين معهم وأبوا أن يفرقوهم"<sup>108</sup>

بهذا النص، يتضح التداخل والتأثير المتبادل بين قبائل الفولاني وجيرانهم من القبائل والشعوب الأخرى في غرب إفريقيا.

### 4.15.. التحليل الدبلوماسي والتاريخي في سؤال أسكيا الحاج محمد وجواب الشيخ المغيلي

كان جواب الشيخ المغيلي على سؤال أسكيا الحاج محمد مفاده ضرورة محاربة المحاربين بغزوهم، مع التأكيد على أنه إذا أصيب أحد من المسلمين الذين بينهم، فلا جناح عليكم، لأن المسلمين الذين بينهم ظلموا أنفسهم بتواجدهم معهم. كما أنه إذا فُسدت أموالهم، فلا شيء عليكم، وإذا غنمتم شيئاً من أموالهم، فردوه إليهم.

يتضح من خلال سؤال أسكيا الحاج محمد وجواب الشيخ المغيلي:

حالة الهلع التي كان عليها أسكيا وتخوفه من قوة الفولاني: يعكس الخوف من القوة العسكرية والسياسية المتزايدة للفولاني، التي كانت تشكل تهديداً ملموساً للإمبراطورية.

- الدبلوماسية التي يتمتع بها أسكيا : يظهر أسكيا حرصه على عدم إظهار الخوف من قبائل الفولاني، وحرصه على تقديم نفسه وكأنه يراعي مصالحهم، مما يعكس مهارته الدبلوماسية.

- الشرعية الشرعية التي منحها لنفسه : من خلال استفتائه للعالم محمد بن عبد الكريم المغيلي، منح أسكيا لنفسه الحق الشرعي في مواجهة الفولاني، مستنداً إلى الشريعة الإسلامية لتبرير أفعاله<sup>109</sup>.

### 16.. توسع قبائل الفولاني وتأسيس الدول الإسلامية

تربعت قبائل الفولاني على منطقة شاسعة من السودان الغربي بعد أن أسست دولاً إسلامية عديدة. بدأت هذه الدول من فوتافور وصولاً إلى شمال نيجيريا. ومن بين هذه الدول البارزة:

- 1 مملكة فوتا جالون : إحدى الدول الإسلامية التي أنشأها الفولاني في غرب إفريقيا.
  - 2 مملكة فوتا توورو : دولة إسلامية أخرى أسسها الفولاني وشكلت جزءاً من المنطقة المهيمنة عليهم.
  3. الإمبراطورية الفولانية في صوكوتو: أسسها عثمان دان فوديو في بداية القرن التاسع عشر، والتي أصبحت قوة هامة في المنطقة.
- يُظهر توسع الفولاني وتأسيسهم لهذه الدول قدرتهم على التأثير بشكل كبير في السياسة والاقتصاد في غرب إفريقيا، مما يبرز دورهم البارز في التاريخ الإسلامي والإفريقي

#### خاتمة

في ختام هذا البحث الموسوم بـ«رؤية تاريخية للحياة الثقافية والاجتماعية لقبائل الفلان في القرنين 18 و19»، تبرز أهمية دراسة المجتمعات الأفريقية من منظور تاريخي متكامل يراعي الخصائص الثقافية والاجتماعية لهذه الشعوب، ويبتعد عن المقاربات النمطية التي طالما هيمنت على الكتابات القديمة. لقد أظهرت نتائج هذه الدراسة أن قبائل الفلان خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر شكلت مجتمعاً ذا بنية اجتماعية واضحة ومرنة في آنٍ واحد، حيث اعتمد النظام الاجتماعي لديهم على علاقات قرابية قوية، وهيكل قيادي محلي ساعد في استقرار القبيلة وإدارة شؤونها الداخلية.

بينت الدراسة أن الثقافة الفلانية في تلك المرحلة كانت غنية بالممارسات والطقوس التي عكست ارتباطاً عميقاً بالدين والتقاليد المحلية، حيث لعب التعليم التقليدي دوراً بارزاً في نشر العلوم والمعارف الدينية، وأسهم في ترسيخ القيم الأخلاقية والاجتماعية بين أفراد القبيلة. كما برزت الفنون التقليدية كأداة للتعبير الثقافي عن المعتقدات والهوية المشتركة، سواء من خلال الحرف اليدوية أو الأغاني والأشعار الشعبية.

أما على الصعيد الاقتصادي، فقد كشفت الدراسة عن أهمية الأنشطة المرتبطة بتربية المواشي والتجارة الإقليمية التي ساعدت الفلان على التوسع والانتشار عبر مناطق واسعة في غرب أفريقيا، وأتاحت لهم إقامة علاقات متبادلة مع مجتمعات متعددة، ما ساهم في تعزيز مكانتهم الاقتصادية والاجتماعية على مستوى المنطقة.

ويمكن تلخيص أبرز النتائج التي توصل إليها البحث فيما يلي:

- تأكيد الدور المركزي للتعليم التقليدي والمؤسسات الدينية في ترسيخ القيم الثقافية والاجتماعية لقبائل الفلان.
- توضيح تمايز نظامهم الاجتماعي وقدرته على التأقلم مع التغيرات السياسية والاقتصادية في محيطهم الإقليمي.
- إبراز الغنى الثقافي للفلان من خلال تنوع عاداتهم وطقوسهم ومساهماتهم في نقل المعارف عبر الأجيال.

- إثبات أن الحياة الثقافية والاجتماعية لقبائل الفلان كانت عاملاً حاسماً في استمرار هويتهم ووحدتهم رغم التحديات التي واجهوها.

وبناءً على ما سبق، توصي هذه الدراسة بضرورة مواصلة البحث في المصادر المحلية الشفوية والمكتوبة، مثل قصص الحكماء والأشعار التاريخية، التي تمثل رافداً مهماً لفهم أعمق للحياة الثقافية والاجتماعية لقبائل الفلان من منظورهم الذاتي. كما يقترح البحث إجراء دراسات مقارنة بين المجتمعات الفلانية في دول غرب أفريقيا المختلفة، لاستكشاف أوجه التنوع الثقافي والاجتماعي داخل هذه المجموعة العرقية، بما يعزز من قيمة الدراسات التاريخية والأنثروبولوجية في تقديم صورة أكثر دقة وشمولية.

إن إدراكنا لخصوصية التاريخ الثقافي والاجتماعي لقبائل الفلان لا يساعد فقط في إثراء المعرفة الأكاديمية حول الشعوب الأفريقية، بل يساهم أيضاً في تصحيح الصور النمطية القديمة وتعزيز الفهم المتبادل والتقدير الواعي للتنوع الثقافي والإنساني الذي تزخر به قارة أفريقيا.

- <sup>1</sup> - عثمان برايم باري : جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الافريقي، ط1، القاهرة، دارالامين، 2000م، ص185.
- <sup>2</sup> - شمس الدين أبي عبد الله محمد أبي طالب الأنصاري الصوفي الدمشقي: كتاب نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، مدينة بطربورغ، مطبعة الأكاديمية الإمبراطورية، 1865م، ص240-241.
- <sup>3</sup> - Keven shillington, *Encyclopedia of African history*, Taylor & Francis group New York London, 2005, p915.
- <sup>4</sup> - Pat –Ndenk we, *Fulani, the heritage litrong of Aficen peoples*, New York, 1996, p 11-21.
- <sup>5</sup> - عبد الرحمان أحمد عثمان، مشروع تنصير قبيلة فولاني، المركز الإسلامي الأفريقي، الخرطوم 1990، ص8.
- <sup>6</sup> - برايم باري عثمان: جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الافريقي، ط1، القاهرة، دارالامين، 2000م، ص328.
- <sup>7</sup> - Pat –Ndenk we, *Fulani, the heritage litrong of Aficen peoples*, New York, 1996, P18.
- <sup>8</sup> - Martin B.G, *Muslim Brotherhoods in Winteonth Centuray African*, conpridge University Presa, LONDON, P 1976, P16.
- <sup>9</sup> - Paul Ellsowortl, *Bot Ama tokumbo Diplacement and the Politics of Violence in Negeria*, Brill Leiden, Newyork, 1997, P 94-59.
- <sup>10</sup> - Mahdi Adamu, Anthoney Hamilton, *Pastoralists of the west African savanna*, Manchester University Press, OXFORD, 1986, P 217
- <sup>11</sup> - محمد بيلو: إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، بهجة الشادلي، منشورات معهد الدراسات الأفريقية، الرباط، 1996م، ص266.
- <sup>12</sup> - يوسف أبوقرون، قبائل السودان الكبرى (ملحات عن حياة وعادات)، الخرطوم 1969 م ص 116.
- <sup>13</sup> - الطيب عبد الرحيم محمد الفلاني: الفلانة في افريقيا ومساهماتهم الحضارية، ط1، دار الكتاب العربية، الكويت، 1994م، ص22.
- <sup>14</sup> - عبدالله سالم بازنة، انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء، ط1، الإدارة العامة للمكتبات والمطبوعات والنشر، مصراته، ليبيا، 2010، ص105.
- <sup>15</sup> - برايم باري عثمان: المرجع السابق ص 375.
- <sup>16</sup> - Adamu, Antlony, *Opcit*, P242
- <sup>17</sup> - Ibid, P 242-342.
- <sup>18</sup> - دونالد ويدنر، تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء، تر ارشد البداوي، دار الجيل للطباعة، مصر، 2009 ص 61.
- <sup>19</sup> - عبدالله عبد الماجد إبراهيم، الغاربة (الجماعات التي هاجرت في غرب إفريقيا واستوطنت السودان وادي النيل ودورهم في تكوين الهوية السودانية)، ط، دار الحاوي للطباعة والنشر والتوزيع، 1998م، ص212-214.
- <sup>20</sup> - J-de carozale, *Les peulhs etude jethmologie Africane*, maisonnewe etcie edeitemes paris, 1883, p210.
- <sup>21</sup> - Cabral Sankara, *Fula History & Culture*, Ambakaisye-Okang, PH.D, 2010, P5-6
- <sup>22</sup> - برايم باري : المرجع السابق، ص335.
- <sup>23</sup> - Cabral Sankara, *Fula History & Culture*, Ambakaisye-Okang, PH.D, 2010, P5-6.
- <sup>24</sup> - Cabral. Sankara, *Fula / Fula of west Africa*, Ambakisye-okange. UNTS, 2010, p9.
- <sup>25</sup> - Bérenger Féraud, *les peuplades de la sénegambia*, éditeur libraire de la societe Asiatique, paris 1879. P142.
- <sup>26</sup> - Clapperton, *Second voyage dans l'interieur de l'Afrique*, mongie Ame, libraire, paris, 1829, T11, P82
- <sup>27</sup> - Magdalena E. Thome, *Women in society*, Nova science publishers, Inc, Newyork, 2005, p182.
- <sup>28</sup> - The diagram group, *Encllopedia of African peoples*, Routhedge London and New york, 2013, p85-88.
- <sup>29</sup> - F-W. dest croix, *The Fulani of Northern Nigeria*, printed by the government printer, logos, 1945, p54.
- <sup>30</sup> - - croix, *Opcit*, p54-55

- <sup>31</sup> - Sankara, Opcit, p121-221
- <sup>32</sup> - M.ch.Thirion, *Comptes rendus stenographiques*, putilles sous les auspices du comite genral des congress et conferences, paris, 1878, N°5. p860-168
- <sup>33</sup> - Sankara, *Fula /Fula of west Africa* , Opcit, p8
- <sup>34</sup> - Sankara, *Fula history& culture*, Opcit, p247
- <sup>35</sup> - Sankara, *Fula /Fula of west Africa*, Opcit, p9.
- <sup>36</sup> - محمد مصطفى الشعيبي, *نيجيريا الدولة والمجتمع*, دار النهضة العربية, بيروت 1974م, ص 112.
- <sup>37</sup> - Sankara, *Fula history& culture*, opcit, p117
- <sup>38</sup> - Brenda-Lu forman and Harrison forman, *The Land and People of Nigeria*, Portraits of The Nations Series, New York, 1964. P57-85.
- <sup>39</sup> - Molefi kete Asante. Ama mazana. *Encyclopedia of African Religion*. A sage Reference publication . Los Angeles. 2009. p275-.672
- <sup>40</sup> - مصطفى بوزيدي, *الفلاي (عرب, بربر, هنود ام إيرانيون)*, *مجلة الكوثر*, ع21, الكويت, يوليو 2001م, ص17.
- <sup>41</sup> - Grozale, Opcit, p112-.411
- <sup>42</sup> - Mongo park . *voyage dans l'interieure de l'Afrique*, 2<sup>e</sup> édition. td Aderian edams. francais Mapero. paris 1980. P175-181.
- <sup>43</sup> - Sankara, Opcit, p117-.811
- <sup>44</sup> - بوزيدي, المرجع السابق, ص19.
- <sup>45</sup> - Sankara, Opcit, p94
- <sup>46</sup> - مضافة عمر محمد ثاني, *التاريخ الاجتماعي لمجموعة الفولاني بجنوب النيل الأزرق في الفترة (1900-2000)*, بحث تكميلي للإبقاء بمتطلبات درجة الماجستير في الدراسات الأفريقية الأسوية, جامعة الخرطوم, ديسمبر, 2007م, ص109-111.
- <sup>47</sup> - Crozals, Opcit. P226.
- <sup>48</sup> - Ibid, P233-.532
- <sup>49</sup> - مزدلفة, المرجع السابق, ص111-112
- <sup>50</sup> - Croix, Opcit, P37.
- <sup>51</sup> - برايم باري: المرجع السابق, ص357
- <sup>52</sup> - Sankara, Opcit, P22
- <sup>53</sup> - مزدلفة, المرجع السابق, ص112
- <sup>54</sup> - الشعيبي, المرجع السابق, ص128.
- <sup>55</sup> - مزدلفة, المرجع السابق, ص122.
- <sup>56</sup> - الشعيبي, المرجع السابق, ص128.
- <sup>57</sup> - Croix, Opcit, P46.
- <sup>58</sup> - Ndukwe, Opcit, P44-.54
- <sup>59</sup> - بيلو, المصدر السابق, ص50.
- <sup>60</sup> - Sankara, Opcit, P 23.
- <sup>61</sup> - Ndukwe, Opcit, P44-.54
- <sup>62</sup> - الشعيبي, المرجع السابق, ص135.
- <sup>63</sup> - مزدلفة, المرجع السابق, ص112
- <sup>64</sup> - Sadiku and Others, Opcit, P29.
- <sup>65</sup> - Clapperton, second, *voyage dans l'interieur de l'Afrique*, mongie Ame, libraire, paris, 1829, T11. P170.
- <sup>66</sup> - مزدلفة, المرجع السابق, ص112
- <sup>67</sup> - بوزيدي, المرجع السابق, ص20.
- <sup>68</sup> - الشعيبي, المرجع السابق, ص155
- <sup>69</sup> - Crozals, Opcit, P179-.081
- <sup>70</sup> - Cabral Sankara, *Fula History & Culture*, Ambakaisye-Okang, PH.D, 2010. P371.
- <sup>71</sup> - Ibid, P371-.273
- <sup>72</sup> - الشعيبي, المرجع السابق, ص182.
- <sup>73</sup> - Gibbs, Opcit, Opcit, P372.
- <sup>74</sup> - Ndukwe, Opcit, P22.
- <sup>75</sup> - Gibbs, Opcit, P373.
- <sup>76</sup> - Croix, Opcit, p27-82
- <sup>77</sup> - الشعيبي, المرجع السابق, ص94
- <sup>78</sup> - Croix, Opcit, p21-22
- <sup>79</sup> - John claudius London, *An Encyclopedia of Agriculture*, Longman green , London, 1883, p177.
- <sup>80</sup> - Bouet- willaumez, *Commerce et traite des noires*, imprimerie nationale, paris, 1848, p157.
- <sup>81</sup> - Sankra, Opcit, p135-136.

<sup>82</sup> - Gozals, Opcit, p190-.191

<sup>83</sup> - Michael watts, *Silent violence(Food.Femine and peaxn try North ern Nigeria)*. university of Georgia press, Georgic 2013 , p212-.412

<sup>84</sup> - Gozals, Opcit, p.491

<sup>85</sup> - الشعبي، المرجع السابق، ص 174-177

<sup>86</sup> - Sankra, Opcit, p115

<sup>87</sup> - الشعبي، المرجع السابق، ص 174

<sup>88</sup> - - Sankra, Opcit, p115.

<sup>89</sup> - الشعبي، المرجع السابق، ص 174.

<sup>90</sup> - Ki-zerbo, *General history of Africa*, jame, currey UNexo, California, 1989.T I, p65-.76

<sup>91</sup> - Sankra, Opcit, p29.

<sup>92</sup> - Gozals, Opcit, P.591

<sup>93</sup> - Sankra, Opcit, p29-.03

<sup>94</sup> - Ibid p33-.43

<sup>95</sup> - Gozals, Opcit.p196-.791

<sup>96</sup> - Villiers Marq and Sheila Hirthe. *INTO AFRICA(Ajourney through the ancient empiers)*. key porter Books.canada. 1997.p281-.282

<sup>97</sup> - Sankra, Opcit.p34-.53

<sup>98</sup> - مزدلفة، المرجع السابق، ص 81.

<sup>99</sup> - Sankra, Opcit.p116.

<sup>100</sup> - الدالي مبروك، قبائل الهوسا (دراسة وثائقية)، الشركة الخضراء للطباعة والنشر، طرابلس، الغرب، 2009، ص 243.

<sup>101</sup> - Gozals, Opcit.p239-.042

<sup>102</sup> - Gibber, Opcit.p394

<sup>103</sup> - الدالي، المرجع السابق، ص 243.

<sup>104</sup> - Gozals, Opcit.p242

<sup>105</sup> - الدالي، المرجع السابق، ص 243-244.

<sup>106</sup> - الفلاني، المرجع السابق، ص 32.

<sup>107</sup> - الدالي، المرجع السابق، ص 246.

<sup>108</sup> - محمد بن عبد الكريم المغيلي، أسئلة الأسقيا واجوبة المغيلي، تح عبد القادر زيادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1974. ص 58-59.

<sup>109</sup> - الدالي، المرجع السابق، ص 246-247.

## أولاً: المراجع باللغة العربية

### 1. الكتب

الأنصاري الصوفي الدمشقي، شمس الدين أبي عبد الله محمد أبي طالب (1865م)، كتاب نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، مدينة بطرسبرغ: مطبعة الأكاديمية الإمبراطورية.

باري، عثمان برايم (2000م)، جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الأفريقي، ط1، القاهرة: دار الأمين.

بيلو، محمد (1996م)، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، تحقيق: بهيجة الشاذلي، الرباط: منشورات معهد الدراسات الأفريقية.

الدالي، مبروك (2009م)، قبائل الهوسا (دراسة وثائقية)، طرابلس الغرب: الشركة الخضراء للطباعة والنشر.

سالم با زينة، عبد الله (2010م)، انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء، ط1، مصراتة، ليبيا: الإدارة العامة للمكتبات والمطبوعات والنشر. الشعبي، محمد مصطفى (1974م)، نيجيريا الدولة والمجتمع، بيروت: دار النهضة العربية.

عبد الرحيم محمد الفلاني، الطيب (1994م)، الفلانة في إفريقيا ومساهماتهم الحضارية، ط1، الكويت: دار الكتاب العربية.

عبد الماجد إبراهيم، عبد الله (1998م)، الغاربة (الجماعات التي هاجرت في غرب إفريقيا واستوطنت السودان وادي النيل ودورهم في تكوين الهوية السودانية)، ط1، دار الحاوي للطباعة والنشر والتوزيع.

عثمان، عبد الرحمان أحمد (1990م)، مشروع تنصير قبيلة فولاني، الخرطوم: المركز الإسلامي الأفريقي.

المغيلي، محمد بن عبد الكريم (1974م)، أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، تحقيق: عبد القادر زيادية، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

دين، دونالد (2009م)، تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء، ترجمة: أرشد البداوي، مصر: دار الجيل للطباعة.

وسف أبوقرون (1969م)، قبائل السودان الكبرى (لمحات عن حياة وعادات)، الخرطوم.

### 2. المجلات والدوريات العلمية

بوزيدي، مصطفى (يوليو 2001م)، "الفلاني (عرب، بربر، هنود أم إيرانيون)"، مجلة الكوثر، العدد 21، الكويت.

### 3. الرسائل والبحوث الجامعية

عمر محمد ثاني، مزدلفة (ديسمبر 2007م)، التاريخ الاجتماعي لمجموعة الفولاني بجنوب النيل الأزرق في الفترة (1900-2000)، [بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في الدراسات الأفريقية الآسيوية]، معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم.

ثانياً: المراجع باللغة الأجنبية

Bouet-Willaumez, Louis-Édouard (1848), Commerce et traite des noirs, Paris: Imprimerie Nationale.

Clapperton, Hugh (1829), Second voyage dans l'intérieur de l'Afrique, Paris: Mongie Aîné, Libraire.

De Crozals, Joseph (1883), Les Peulhs: Étude d'ethnologie africaine, Paris: Maisonneuve et Cie.

F-W. de St. Croix (1945), The Fulani of Northern Nigeria, Lagos: Printed by the Government Printer.

Loudon, John Claudius (1883), An Encyclopedia of Agriculture, London: Longmans, Green, and Co.

Martin, Bradford G. (1976), Muslim Brotherhoods in Nineteenth-Century Africa, London: Cambridge University Press.

Park, Mungo (1980), Voyage dans l'intérieur de l'Afrique, 2<sup>e</sup> édition, Paris: François Maspero.

Thome, Magdalena E. (2005), Women in Society, New York: Nova Science Publishers, Inc.

Watts, Michael (2013), Silent Violence: Food, Famine, and Peasantry in Northern Nigeria, Georgia: University of Georgia Press.

Adamu, Mahdi and Kirk-Greene, Anthony Hamilton (1986), Pastoralists of the West African Savanna, Oxford: Manchester University Press.

Asante, Molefi Kete and Mazama, Ama (2009), Encyclopedia of African Religion, Los Angeles: A Sage Reference Publication.

Béranger-Féraud, Laurent Jean Baptiste (1879), Les peuplades de la Sénégambie, Paris: Éditeur Libraire de la Société Asiatique.

Ellsworth, Paul (1997), Displacement and the Politics of Violence in Nigeria, Leiden/New York: Brill.

Forman, Brenda-Lu and Forman, Harrison (1964), The Land and People of Nieria, Portraits of the Nations Series, New York.

Gibbs, James (1986), Peoples of Africa, Indiana University.

Ki-Zerbo, Joseph (1989), General History of Africa, Vol. I, California: UNESCO / James Currey.

Ndukwe, Pat (1996), Fulani: The Heritage Library of African Peoples, New York.

Sadiku, Matthew and Others (2018), "The Fulani People: A Cultural Profiles", Journal of African Studies.

Shillington, Kevin (2005), Encyclopedia of African History, New York / London: Taylor & Francis Group.

The Diagram Group (2013), Encyclopedia of African Peoples, London and New York: Routledge.

Thirion, M. Ch. (1878), Comptes rendus sténographiques, Publiés sous les auspices du Comité Central des Congrès et Conférences, Paris, N° 5.

Villiers, Marq and Hirtle, Sheila (1997), Into Africa: A Journey Through the Ancient Empires, Canada: Key Porter Books.

.Sankara, Cabral (2010), Fula History & Culture, [Ambakisye-Okang, Ph.D. Dissertation], University of Nigeria / UNTS